# منظومة القيم والأخلاق بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية

دراسة مقارنة لمنظوري الغزالي وبارسونز

DOI:10.12816/0036680

د. محمد بن هود الجهني (\*)

الأستاذ المشارك بقسم الدرسات الإسلامية \_ جامعة الملك سعود \_ الرياض

قدم للنشر في ٥/ ٥/ ٢٠١٤ ... وقبل في ١٥/ ٢/ ٢٠١٥

#### الملخص

العلمية في منظومة أنساق القيم والأخلاق في العلوم الاجتماعية على عاليًا ما تدرس بعدًا واحدًا من الأبعاد العلمية، وهو البعد

البحوث

الوصفي، وذلك باستخدام أدوات قياس مستقلة مثل: مقياس سبرنجر، وكلاكهان، وبارك، وروكش. وهذه الدراسة ذهبت إلى أبعد من الوصف باستخدامها منهج التحليلات المقارنة من أجل تحليل منظومة القيم والأخلاق بنائيًّا ووظيفيًّا وديناميكيًّا وفقًا للنظرية العامة في الفعل والأنساق الاجتهاعية. فبواسطة استخدام أدوات هذه النظرية الوصفية والتحليلية قامت الدراسة بوصف منظومة القيم والأخلاق في الثقافة العربية وفقًا العربية الإسلامية وفقًا للغزالي، ومنظومة القيم والأخسلاق في الثقافة العربية وفقًا لبارسونز، وتحديد مواقعها كعناصر بنائية، وموازين وظيفية لها غرجاتها على المستويين الشخصي والاجتهاعي. وأوضحت النتائج أن هناك اتفاقًا بين الغزالي وبارسونز أو بين الثقافتين في عدد من أنساق القيم، وأن هناك اختلافًا بينها في نسق قيمي واحد، وهذا الاختلاف بسبب اختلاف الثقافتين في بعض متغيراتها.

الكلمات المفتاحية: منظومة \_ القيم والأخلاق \_ الثقافة العربية.

<sup>(\*)</sup> المر اسلات الخاصة بهذا البحث توجه إلى محمد بن حمو د الجهني maljuhani@saudiairlines.com

إن دراسة طبيعة منظومة أنساق القيم والأخلاق وبيان حقيقتها، يعتبر من أهم الموضوعات وأوكدها في علم الاجتاع والعلوم الإنسانية المعاصرة. وفقًا للتراكم المعرفي المكتوب باللغة العربية واللغة الإنجليزية وقد قام بدراستها والكتابة فيها علماء وفلاسفة الثقافة العربية الإسلامية، وعلماء وفلاسفة الثقافة المسيحية، والثقافة اليونانية، والثقافة اليهودية، التي هي أصول الثقافة الغربية. بالإضافة إلى الأهمية القصوى لدراسة وبحث هذا الموضوع، جاء اهتمامي بدراسته باللذات عند الغزالي وبارسونز نتيجة لباعثين: الأول إيهاني بأن دراسته تعتبر واجبًا شرعيًّا. والثاني نتيجة للتشابه والاتفاق الكبير بين إسهامات الغزالي وبارسونز في مجال منظومة القيم والأخلاق وتصنيفاتها ووظائفها ومخرجاتها، على الرغم من الخالف المفارق الزمني بينها الذي يقرب من الألف عام، وعلى الرغم من اختلاف اللوغم من الخالف المفاهيم والمصطلحات التي استخدماها للدلالة على مفردات موضوع الدراسة. فالغزالي الذي تتخذه الدراسة ممثلًا للثقافة العربية الإسلامية كتب بلغة ورموز عربية، وكان معتنقًا للدين تتخذه الدراسة ممثلًا للثقافة العربية إنجليزية، وكان معتنقًا للدين الإسلامي، وقبلته المسجد الحرام. بينها بارسونز الذي تتخذه الدراسة ممثلًا للثقافة العربية إنجليزية، وكان معتنقًا للدين المسيحي، وقبلته المسجد، وقبلته الكنيسة بالقدس الشريف.

وفي هذه الدراسة قمت بوصف منظومة أنساق القيم والأخلاق في الثقافة العربية الإسلامية كما رآها الغزالي، ووصف منظومة القيم والأخلاق في الثقافة الغربية كما رآها بارسونز.

### مشكلة الدراسة

الثقافات البشرية المتنوعة تتفق وتشترك في بعض مقاييس منظوماتها القيمية والأخلاقية، وتختلف في بعضها الآخر. فمثلًا مقاييس قيم المعرفة العلمية المنظمة وقوانينها وأحكامها تكون مشتركة بين جميع الثقافات الحية. ومشكلة الدراسة تكمن في تحديد القيم والأخلاق المشتركة والمتفق عليها بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية، وتحديد القيم غير المشتركة بين الثقافتين.

وللقيام بحل هذه المشكله حلًّا علميًّا موضوعيًّا يوصلنا إلى معرفة الفروق بين

الثقافتين، نحتاج أولًا إلى: تصنيف مستقل لمنظومة القيم والأخلاق في الثقافة العربية الإسلامية. ونحتاج ثانيًا إلى: تصنيف مستقل لمنظومة القيم والأخلاق في الثقافة الغربية. ونحتاج ثالثًا إلى: مقياس تحليلي مستقل نقارن بواسطته مواصفات منظومتي القيم والأخلاق في الثقافتين.

وهـذه الدراسة في محاولتها حل هذه المشكلة حلًا علميًّا، تتخذ من تصنيف الغزالي تصنيفًا مستقلًا يمثل الثقافة العربية الإسلامية. وتتخذ من تصنيف بارسونز تصنيفًا مستقلًا يمثل الثقافة الغربية. وتتخذ من النظرية العامة للفعل إحدى نظريات علم الاجتماع كإطار مرجعي أو كأداة ومقياس علمي تحليلي مستقل، نقارن بواسطته مواصفات منظومتي القيم والأخلاق في الثقافتين.

### أهداف الدراسة

لهذه الدراسة أربعة أهداف هي:

ا \_ رفع توصيات علمية مبنية على النظرية التحليلية في علم الاجتهاع لأصحاب القرار في مؤسسات التنشئة الاجتهاعي، وفي مؤسسات التنشئة الاجتهاعية.

٢ ـ تقديم إسهام لفهم علمي لطبيعة المنظومة القيميه والأخلاق، ووظائفها،
و مخرجاتها مبنى على قوانين و تعميات النظرية الاجتماعية الحديثة.

٣\_ تحديد مواصفات منظومتي القيم والأخلاق عند الغزالي وبارسونز.

٤ \_ تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين تصنيف الغزالي وتصنيف بارسونز.

#### تساؤلات الدراسة

ولحل مشكلة الدراسة، وتحقيق أهدافها العملية والعلمية وضعت التساؤلات التالية:

١ ـ ما مواصفات منظومة القيم والأخلاق في الثقافة العربية الإسلامية؟
٢ ـ ما مواصفات منظومة القيم والأخلاق في الثقافة الغربية؟

٣\_ما مواصفات القيم والأخلاق المشتركة بين الثقافتين؟
٤\_ما مواصفات القيم والأخلاق غير المشتركة بين الثقافتين؟

### الإطار النظري

في الثقافة العربية الإسلامية هناك مدرستان أو اتجاهان نظريان في دراسة منظومة القيم والأخلاق: مدرسة النظر العقلي، والمدرسة الإسلامية الخالصة. فأصحاب اتجاه المدرسة الأولى استوعبوا الثقافة اليونانية، وعدلوا فيها. وأصحاب اتجاه المدرسة الثانية لم يتأثروا بالثقافة اليونانية، وإنها يستمدون أصولها من قواعد الشريعة الإسلامية الخالصة، ويستلهمون مبادئها من الكتاب والسنة والمصادر الإسلامية مثل الإجماع والقياس. (موسوعة نضرة النعيم، ١٩٩٧م). وعالمنا ابو حامد الغزإلى (٥٥ هـ٥٠ هـ٥٠ هـ) رحمه الله تعالى ينتمي إلى كلتا المدرستين. وهو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي. نسبه إلى قرية اسمها غزالة، أو نسبه إلى مهنة أبيه الغزال، الذي يغزل الصوف. كما يسمى بالطوسي نسبته إلى قرية ويتم طوس بخراسان وبالفقيه الشافعي باعتباره أكبر فقهاء الشافعية في القرن الخامس الهجري. (الأعسم، ١٩٩٨م). وقبل الخوض في عرض منظور الغزالي في مجال منظومة القيم والأخلاق، أعرض تعريفات مفهوم منظومة القيم والأخلاق عند بعض منظوم الاجتماعية في الثقافة العربية الإسلامية.

ومنظومة القيم والأخلاق عند مسكويه ت ٤٢١ هـ في المستوى الشخصي هي حال للنفس تصدر عنها الأفعال الإرادية من غير فكر ولا روية. وهذه الحال منها ما يكون من أصل المزاج والفطرة، ومنها ما يكون مستفادًا أو مكتسبًا بالعادة والتدريب. ومنظومة القيم هي فضائل ورذائل، أو خيرات وشرور، والفضائل عنده تنقسم إلى أربعة أنساق فرعية وهي: الحكمة بأنواعها، والشجاعة بأنواعها. والعفة بأنواعها، والعدالة بأنواعها، أما الرذائل فهي ضد الفضائل (مسكويه ١١٠ ٢٠ م، ص٢٤٣).

ومنظومة القيم والأخلاق عند ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) قسمان: الفضائل النظرية وهي معرفة علمية تجريبية برهانية يخضع الناس لقوانينها ومقاييسها، وفضائل خلقية وهي أحكام شرعية وغايات خلقية يخضع الناس لأوامرها ونواهيها، وابن رشد ينفرد بآراء

مميزة تختلف عن آراء من سبقوه من الفلاسفة والعلهاء. فهو يرى أن الفضائل الخلقية لا توجد بالفطرة وإنها يتم اكتسابها، مثلها مثل الفضائل النظرية التي يتم اكتسابها بالتعلم، وإن العمل الخلقي يصدر عن الإنسان بعقل وروية، وليس من غير فكر ولا رويه. وأكد ابن رشد أهمية علم التربية الخلقية في ترسيخ الملكات الارادية حتى تصبح كاملة في النفس بحكم العادة والدراية (أنيس، ١٩٩٤)

ومنظومة القيم والأخلاق عند ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) تأخذ معنى شاملًا، فهي بناء خلقي يتكون من الحكمة، والعدل، والعفة، والشجاعة المؤسسة على الإيهان بالله تعالى، واليوم الآخر. والحكمة عنده تعني العلم، والعمل. وعنده الإنسان يتكون من قوتين: القوة العلمية، والقوة العملية وهي الإرادة الحرة المختارة، فهو يقول في ذلك: (إن النفس لها قوتان علمية وعملية، وعمل الإنسان عمل اختياري، والعمل الاختياري إنها يكون بإرادة العبد) (عفيفي، ١٤٠٨هـ).

ونستطيع أن نستخلص من التعريفات السابقة لعلماء كلتا المدرستين، أنهم يتفقون على بعض التعميات والقضايا العلمية حول منظومة القيم والأخلاق ويختلفون في بعضها الآخر. فمثلا نجد معظمهم يتفقون على أن منظومة القيم والأخلاق أحكام وموازين مرجعية ليست عقلية فقط، وإنها شرعية أيضًا (الغزالي، ابن رشد، ابن تيمية). ومعظمهم يرى أن منظومة القيم والأخلاق يتم اكتسابها بواسطة غرسها في الشخصية الإنسانية من قبل البيئة الثقافية الاجتهاعية المحيطة بها (الغزالي، ابن رشد، ابن تيمية)، وعلى الرغم من أن بعضهم يرى أيضًا أنها توجد في الشخصيات الإنسانية بواسطة الفطرة فهي هبة (مسكوية، ابن تيمية). ويختلفون في قضية الأفعال الخلقية، هل تصدر عن الإنسان بروية وفكر واختيار، أم تصدر عن الإنسان من غير فكر ولا روية ولا اختيار. حيث نجد كلًّا من (مسكوية، والغزالي) يؤكد أن الأفعال الخلقية تصدر عن الإنسان بدون فكر ولا الإنسان بفكر وروية واختيار. وبجمع ما سبق يتبين أن منظومة القيم والأخلاق في الثقافة المعربية الإسلامية عبارة عن منظومة من الأحكام والمقاييس العقلية، والشرعية المستمدة العربية الإسلامية عبارة عن منظومة من الأحكام والمقاييس العقلية، والشرعية المستمدة من الكتاب والسنة، يكتسبها الإنسان اكتسابًا من البيئة الاجتهاعية الثقافية المحيطة به،

وهي ليست من العناصر الوراثية التي توجد بالفطرة. فوظيفتها توجيه وضبط الأفعال العقلانية والخلقية التي تصدر عن الإنسان بفكر وروية واختيار.

وفي الثقافة الغربية حدد جان (٢٠٠١م) في كتابه فلسفة القيم عددًا من النظريات التي موضوعها منظومة القيم والأخلاق وهي: نظرية النظام الفاضل، ونظرية النظام الاقتصادي، ونظرية النظام الشخصاني، ونظرية النظام الوجودي، ونظرية النظام الأنطولوجي، ونظرية نظام التواصل ص٧٥ ـ ٩٤.

ويعتبر بارسونز عالمنا الثاني وريث المدارس والتقاليد الغربية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر، وهي المثالية والنفعية والوضعية، وتالكوت بارسونز ١٩٠٢ في القرن التاسع عشر، وهي المثالية والنفعية والوضعية، وتالكوت بارسونز ١٩٠٩ للاقتصاد، ولله عور الله ولله ولله المريكية. ودرس في مدرسة لندن للاقتصاد، وتأثر ببرونسلي مالينو فسكي، ثم انتقل إلى جامعة هيدالبرج بألمانيا وحصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد. وتعين بجامعة هار فرد، وانتقل من قسم الاقتصاد إلى قسم الاجتماع. ويعتبر من قبل معجبيه ومنتقديه على حد سواء المؤسس الرئيس للفكر الاجتماعي في وقتنا المعاصر والبعض يراه الأكثر تأثيرًا في تأسيس علم الاجتماع الأكاديمي في الو لايات المتحدة الأمريكية (California, 1982, P.10).

وقبل الخوض في منظور بارسونز أعرض تعريفات مفهوم منظومة القيم والأخلاق عند بعض رواد العلوم الاجتماعية في الثقافة الغربية.

منظومة القيم والأخلاق عند كانت ت ١٨٠٤م تنقسم إلى قسمين: أنساق نظرية تتناول شئون المعرفة وتحدد اليقين الحقيقي بالتجربة العلمية ومعطيات العقل، وأنساق عملية تتناول الجانب العملي من الوجود، وهو السلوك والأخلاق، وتتجلى وظيفة هذه الأنساق في توجيه أعمالنا وأفعالنا (العوا، ١٩٨٦م، ص٩٢).

ومنظومة القيم والأخلاق عند دوركايم ت ١٩١٧م هي حقائق موضوعية وهي أشياء حقيقية، وهي أحكام وتفضيلات للحقيقة التي تبدو أنها أسست على التقدير. وميز دوركايم بين القيم في المستوى الشخصي، وبين القيم كأشياء موضوعية مستقلة. فالحكم الفردي أو التفضيلات الفردية لا تكون موضوعية، وهي داخل الأفراد. أما الأحكام والتفضيلات الاجتهاعية فهي موضوعية وتوجد خارج الأفراد. وعنده الدين،

والأخلاق، والقانون، والاقتصاد، والجهال هي أنساق من القيم والمثل العليا التي يجب أن تكون مرجعًا لأحكامنا. (كوفيليه، ١٩٨٠، ص ٧٢).

ومنظومة القيم والأخلاق عند ماكس فيبرت ١٩٢٠م هي سبب ومرجع للسلوك البشري، فهي تقوم بتوجيه وتحديد السلوك. وقد ربط بين المارسة الفعلية للسلوك والأخلاق الثقافية البروتستانية المتمثلة في مذهب كالفن التي كانت سببًا في ظهور التجمعات الرأسمالية في المجتمعات الغربية المعاصرة (فيبر، ١٩٨٥، ص٢٥).

بعد عرض الاتجاهات والمدارس النظرية في دراسة منظومة القيم والأخلاق في الثقافتين، وعرض عدد من تعريفات منظومة القيم والأخلاق عند بعض رواد العلوم الاجتماعية في الثقافتين، التي بينت أنهم يشتركون في اعتبار منظومة القيم والأخلاق مقاييس وأحكام ثقافية عقلية وشرعية، وظيفتها ضبط وإرشاد الفعل والسلوك الاجتماعي. أنتقل الآن إلى عرض الإطار المرجعي للدراسة.

الإطار النظري لهذه الدراسة هو إطار مرجعي ينتمي إلى علم الاجتماع، وهو إحدى أهم نظريات علم الاجتماع الغربي المعاصر، وهو النظرية العامة في الفعل والأنساق الاجتماعية، التي صاغها وطورها عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز، وتعتبر من أهم النظريات النسقية التي تمثل التطور الأحدث لما يعرف بالنظرية التحليلية البنائية الوظيفية في العلوم الاجتماعية، وذلك بإضافتها بعدًا تحليليًا ثالثًا وهو بعد التحليل الديناميكي للظواهر الاجتماعية الثقافية.

والنظرية العامة للفعل والأنساق الاجتماعية وقضاياها وتعمياتها العلمية انبنت وأسست على الاتفاق بين رواد النظريات الاجتماعية في الثقافة الغربية على الكثير من المفاهيم العلمية الاجتماعية، وليس فقط الاتفاق على مفهوم الفعل الاجتماعي، ومفهوم المجتمع، ومن هذه المفاهيم: مفهوم الفاعل، ومفهوم التفاعل الاجتماعي، ومفهوم الشخصية، ومفهوم الثقافة، ومفهوم النسق الاجتماعي، ومفهوم منظومة القيم ومفاهيم أخرى. وهذه المفاهيم تعتبر مفردات مرجعية مستقلة للنظرية، وهي مفاهيم علمية وصفية وتحليلية، تستخدم كأدوات للتحري والتحقق في الوصف والقياس في مجال الظواهر الاجتماعية الثقافية موضوع علم الاجتماع.

وهذه الدراسة تتخذمن مفهوم الثقافة، ومفهوم منظومة القيم والأخلاق كمفردات للدراسة وكمقاييس وصفية وتحليلية مستقلة وكأدوات ومقاييس علمية تجريبية.

فالثقافة وفقًا للإطار المرجعي هي وحدة مفاهيمية مستقلة. وهي كحقائق وأشياء ميدانية أو إمبيريقية موجودة في أي مجتمع معطى، ومن خصائص هذه الأشياء، أنها نتاج لأنساق التفاعل الاجتهاعي من ناحية، وعامل محدد لأنساق التفاعل الاجتهاعي من ناحية أخرى. والثقافة كأشياء حقيقية تتناقل بين الأجيال، ويتم تعلمها واكتسابها عبر العمليات الوظيفية المستمرة للتنشئة والضبط الاجتهاعي، وتصبح مشتركة بين الأفراد. والثقافة كأشياء هي مجموع عدد من المكونات البنائية الوظيفية التي من أهمها التالي: (اللغة والمعاني والرموز المعرفة العلمية المنظمة العقيدة القيم والأخلاق المعايير والجزاءات).

ومنظومة القيم والأخلاق وفقًا للإطار المرجعي في المستوى الثقافي هي وحدة مفاهيمية مستقلة، وهي أشياء وحقائق موجودة في ثقافة أي مجتمع معطى، وهي أنهاط ثقافية معيارية مشتركة، تصف وتحدد لأعضاء المجتمع كيف ينبغي أن تكون اختياراتهم واستجاباتهم في مواقف التفاعل الاجتهاعي. وهي مجموع الأحكام والموازين العقلية والشرعية المشتركة، التي تشمل:

١ ـ الأحكام والمقاييس المعرفية.

٢ \_ الأحكام والمقاييس الأخلاقية.

٣\_الأحكام والمقاييس التقييمية.

وبواسطة هذه المقاييس المفاهيمية الوصفية والتحليلية المستقلة (مقياس الثقافة، ومقياس منظومة القيم والأخلاق). قامت الدراسة بوصف مكونات ومواصفات الثقافتين العربية والغربية، وخاصة مواصفات منظومات القيم والأخلاق فيهما، ومقارنة إسهامات كل من الغزالي وبارسونز.

### منهج الدراسة

ولتحقيق الأهداف السابقة، وحل مشكلة الدراسة، تستخدم هذه الدراسة منهج التحليلات المقارنة، وهو منهج علم الاجتماع في دراسة حقيقة الظواهر الاجتماعية

الثقافية. وهو منهج قرره رواد علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون، وأوجست كونت، وإميل دوركايم، وماكس فيبر. وهذا المنهج يتطلب وجود مقياس تحليلي مستقل أو أداة تشغيلية تستخدم في مقارنة مواصفات منظومتي القيم والأخلاق في الثقافتين.

وهذه الدراسة تستخدم أحد المقاييس الوصفية والتحليلية المستقلة للإطار النظري أو نظرية الفعل والأنساق الاجتهاعية في محاولتها قياس ومقارنة إسهامات الغزالي وبارسونز في مجال منظومة القيم والأخلاق. وهذا المقياس هو مقياس علمي تجريبي، وهو تصنيف مستقل للتفاوت، ويعرف بأدبيات العلوم الاجتهاعية بمخطط متغيرات النمط. وهذا المقياس المستقل هو أداة الدراسة التشغيلية الذي يتطلبها منهج التحليلات المقارنة. فبواسطة هذه الأداة تقوم الدراسة بوصف منظومتي القيم والأخلاق في الثقافتين، وبواسطتها نتعرف على مدى التشابه والاختلاف بين تصنيف الغزالي وتصنيف بارسونز.

وهو مقياس متفاوت يتكون من أربعة مقاييس فرعية وهي كالآتي:

١ \_ مقياس العمو مية \_ الخصوصية.

٢ \_ مقياس الأداء \_ النوعية.

٣ ـ مقياس الحياد الوجداني ـ الوجدانية.

٤ \_ مقياس التخصيص \_ الانتشارية.

## المحور الأول: مواصفات منظومتي القيم والأخلاق في الثقافتين

في هذا المحور سوف أقوم بمراجعة مختصرة لمواصفات منظومات القيم والأخلاق في عدد من الثقافات التاريخية وفقًا لسلسلة متغير الزمن فأبدأ بالثقافة العربية الإسلامية، ثم الثقافة المسيحية، ثم الثقافة اليونانية، وأنتهي بالثقافة اليهودية. وذلك بواسطة استقراء ثم الثقافة المسيحية، ثم الثقافة اليونانية، وأنتهي بالثقافة اليهودية. وذلك بواسطة أبناء هذه بعض عناصر ومواصفات هذه الثقافات، واستقراء آراء العلماء والفلاسفة أبناء هذه الثقافات ومناراتها الحية حول طبيعة وحقيقة منظومة أنساق القيم والأخلاق التي يعتبرها الكثير من العلماء ومنهم بارسونز جوهر الثقافة. ولكن قبل البدء في ذلك أشير إلى أن مرجعنا وحدودنا في هذا العرض هو مقياس الثقافة المستقل ومقياس منظومة القيم والأخلاق المتغيرات المستقلة للإطار المرجعي.

في الثقافة العربية الإسلامية ومع بداية انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وما حولها في بداية القرن الأول الهجري الموافق لبداية القرن السابع الميلادي نجد أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وكتابه المنزل على الرسول النبي الأمي سيدنا محمد بن عبد الله على الرسول النبي الأمي سيدنا محمد بن عبد الله على الرئيس لمنظومة والمرسلين والمبعوث إلى العرب والأمم والشعوب قاطبة هو المصدر الثقافي الرئيس لمنظومة القيم والأخلاق. والقرآن الكريم كتاب مصدق للتوراة ومصدق للإنجيل، ونزل بلسان عربي مبين، وكتب باللغة العربية، وترجم إلى معظم لغات العالم الحية في وقتنا المعاصر.

ومن مواصفات منظومة القيم والأخلاق في الثقافة العربية الإسلامية نسق الحكمة والمعرفة والدعوة إلى العلم والقراءة. حيث جاء في أول سورة نزلت من القرآن الكريم الحض والدفع نحو القراءة والكتابة، والحض على التعلم والتطور الفكري، وللأهمية الكبيرة للقلم أقسم الله تعالى به كأول قسم بالقرآن الكريم، كما في سورة القلم السورة الثانية بالنزول وفقًا لبعض المفسرين. وجاء في السورة الثالثة وهي سورة المزمل أول أمر إلهي للرسول على شم للصحابة وهو الأمر بالقراءة وترتيل القرآن الكريم.

ويتضمن القرآن الكريم آيات كثيرة تحث الإنسان وتدفعه إلى إعمال العقل والنظر والتفكر والتدبر والتعقل والتفطن، وإعمال آلة السمع وآلة البصر وفقًا للمعرفة العلمية والتجربة والمشاهدات الصحيحة، وكثير منها جاء على شكل صيغ الاستفهام التي تفيد التنبيه ومنها: ألم تعلم، أفمن يعلم، أفمن كان على بينة، أليس هذا بالحق، أفلا يتدبرون، أفلا تتذكرون، أفلا يؤمنون، فهل من مدكر، فبأي آلاء ربكها تكذبان، أفلا يسمعون، أفلا تبصرون، أفلا تبصرون،

ومن المواصفات المعيارية لمنظومة القيم والأخلاق في الثقافة العربية ما جاء بالمواثيق والعهود التي أخذها الرسول محمد على من الصحابة رضوان الله عليهم في بداية انتشار الإسلام، التي تمثلت بمواثيق البيعة الأولى والثانية، وبيعة الرضوان، وبيعة الإسلام، حيث بايع الصحابة رجالًا ونساء على الالتزام والامتثال بمواد وبنود العهد والبيعة في أفعالهم وتصرفاتهم، التي تضمنت الآتي:

(لا تشرك بالله شيئًا، لا تسرق، لا تزن، لا تقتلوا أولادكم، لا تأتِ ببهتان، لا تعصوا الرسول في معروف، أقرضوا الله قرضًا حسنًا، السمع والطاعة في النشاط والكسل، نصرة

الرسول وتعزيره وحمايته، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الجهاد بالنفس والمال، الصبر وعدم الفرار، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة).

ومن المواصف ات المعيارية لمنظومة القيم والأخلاق التي تحكم وتضبط سلوك وتصرفات المؤمنين في الثقافة العربية الإسلامية، ما جاء في سورة المعارج من مواصفات لأفعال المؤمنين في الآيات من ٢٣ \_ ٣٤ التي تضمنت المواصفات المعيارية التالية:

- \_ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآبِمُونَ ﴿ ٢٣ ﴾ (المعارج: ٢٣).
- ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ فِي أَمُولِهِمْ حَقُّ مَّعْلُومٌ ﴿ إِنَّ لِلسَّآبِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿ أَنَّ المعارج: ٢٤-٥٠).
  - \_ ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ١٠٠٠ ﴾ (المعارج: ٢٦).
  - \_ ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿ ١٠٠ ﴾ (المعارج: ٢٧).
    - \_ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُوَ لِفُرُوجِهِمٌ حَلفِظُونَ ۞ ﴾ (المعارج: ٢٩).
  - \_ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمُ لِأَمَنَا عِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ ١٠٠٠ ﴾ (المعارج: ٣٢).
    - \_ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِشَهَدَتِهِمْ قَايِمُونَ (٣٣) ﴾ (المعارج: ٣٣).

ولقد جاءت هذه المواصفات القيمية مكررة في سور عدة مثل سورة المؤمنون، وسورة الأحزاب، وسورة الأنعام.

وفي نصوص السنة النبوية وأحاديث الرسول على المصدر الثاني لمنظومة القيم والأخلاق والأخلاق في الثقافة العربية الإسلامية، نجد كثيرًا من مواصفات منظومة القيم والأخلاق التي جاءت بالقرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في مختصر صحيح البخاري حديث رقم ٢٦، وفي صحيح مسلم رقم ٢٢٨٢، في مجال نسق الحكمة والحض على العلم والتعلم والتعليم قول الرسول عليه الصلاة والسلام (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنها هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به). وقال على الحديث الذي رواه مسلم برقم ٢٦٠٧ (عليكم بالصدق

فإن الصدق يه يه إلى البر وإن البريه يه إلى الجنة وما ينزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا وإياكم والكذب فإن الكذب يه يه إلى الفجور وإن الفجور يه يه إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا). وقال في في الحديث النه يه المنازي رواه البخاري برقم (٢٦٦٧) (اللهم إني أعوذ بك من الجبن). وقال في ألحديث الذي رواه البخاري برقم ٥٣ (إذا ضيعت الأمانة فا انتظر الساعة). وهناك نصوص نبوية كثيرة حول مواصفات منظومة القيم والأخلاق في الثقافة العربية الإسلامية.

وعامة فإن مواصفات منظومة القيم والأخلاق في الثقافة العربية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوبة، وهي تشبه إلى حد كبير مواصفات منظومات القيم والأخلاق في الثقافات الأخرى .

وفي الثقافة المسيحية نجد أن الإنجيل الكتاب المنزل من عند الله تعالى على سيدنا عيسي بن مريم عليه السلام المرسل إلى بني إسرائيل هو المصدر الثقافي لمنظومة القيم والأخلاق. والمسيحية كمعتقد مصدق للديانة اليهودية ومكمل لها، ويطلق عليها معًا بالعهد القديم والعهد الجديد. ويقول عهاد الهلالي: عممت المسيحية تعاليم اليهودية، ونشر في الغرب أصول الأخلاق التي وردت في التوراة، وأضافت المسيحية بعدًا جديدًا ومكملًا في التعاليم وهو بعد المحبة، وهذا البعد يعني إتمام العمل بالشريعة (مسكويه، ومكملًا في التعاليم وهو بعد المحبة، وهذا البعد يعني إتمام العمل بالشريعة (مسكويه، ومكملًا في التعاليم وهو بعد المحبة، وهذا البعد يعني إتمام العمل بالشريعة (مسكويه).

كذلك بدأ المسيح عليه السلام بالطوبيات، التي هي شريعة العهد الجديد. وللأهمية الكبيرة لهذه الطوبيات أو هذه التعاليم القيمية والأخلاقية في الثقافة المسيحية نوردها ومواصفات قيمية وأخلاقية أخرى كها جاءت في إنجيل متى الذي كتبه متى النشار أحد تلامذة ورسل سيدنا المسيح عليه السلام (إصحاح ٥: ١ - ٤٨).

- \_طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السهاوات.
  - ـ طوبي للحزاني لأنهم يتعزون.
  - \_طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض.
  - ـ طوبي للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون.

- \_طوبي للرحماء لأنهم يرحمون.
- \_ طوبى لأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله.
- ـ طوبي للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماوات.
- ـ طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين.
- افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السهاوات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم.
  - ـ لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ماجئت لا نقض بل لأكمل.
- ـ قد سـمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مسـتوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلًا يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب الحكم ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم.
- أيضًا سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن. أما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك و لا يلقى جسدك كله في جهنم.
- \_أيضًا سمعتم أنه قيل للقدماء... لا تحنث، بل أوفِ للرب أقسامك. وأما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا ألبتة.
- \_سمعتم إنه قيل: عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له خدك الآخر أيضًا.
- سمعتم أنه قيل: تحب قريبك و تبغض عدوك. وأما أنا فأقول: أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.

وهناك نصوص أخلاقية كثيرة نقلتها الأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) التي يعتمدها المسيحيون كمقاييس وأحكام معيارية لتصرفاتهم وأفعالهم في حياتهم، وهي الأناجيل التي كتبت بواسطة رسل وتلامذة سيدنا المسيح عليه السلام في الفترة من ٥٠-٧٥م، وباللغة السريانية المتفرعة من اللغة الآرامية، وكتبت أيضًا باللغة اليونانية، حيث كانت اللغة المنتشرة في ذلك الوقت. وقد ترجمت أيضًا إلى اللغة اللاتينية التي هي لغة

الحضارة الرومانية، ثم إلى اللغات المتفرعة منها مثل الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية. وفي وقتنا الحاضر ترجمت هذه الأناجيل إلى معظم لغات العالم الحية.

وفي الثقافة اليونانية التي من ضمن مواصفاتها تعدد الآلهة أو تعدد الديانات، يعتبر سقراط (ت٢٩ ق. م) أول من وجه الفكر اليوناني إلى البحث في الإنسان والحقائق الأخلاقية، فقد كانت الفلسفة قبله منصر فة إلى معرفة أسرار الكون (العوا، ١٩٨٦، ص٨٨). ومنظومة القيم والأخلاق عند سقراط هي الفضائل التي تشمل: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل. وأهم نسق قيمي عنده هو الحكمة أو المعرفة، التي يعتبرها الفضيلة وهي الخير بعينه (مسكويه، ١٠١ م، ص٢٥٣).

ثم جاء أفلاطون (ت٧٤٧ ق. م) تلميذ سقراط الذي يرى أن الوجود وجودان عالم المحسوسات (المادة، واللذة)، وعالم القيم والمثل، وهو العالم الحقيقي. وقدم تصنيفًا لمنظومة القيم والأخلاق يتكون من ثلاثة أنساق، وهي نسق قيم الحقيقة، ونسق قيم الخير، ونسق قيم الخير، ونسق قيم الخير، فالإنسان الفاضل لا يقدم على فعل الخير رغبة في تحقيق لذة أو جلب منفعة، وإنها يرغب في فعل الخير لذاته باعتباره غاية (مسكويه، ٢١١م، ص٢١١).

ثم جاء أرسطو (ت٣٢٦ ق. م) الذي يرى أيضًا أن الإنسان كائنٌ أخلاقيٌ ولكن بالمعنى العملي، فهو يقول: ليس الذي يخضع لنسق الأخلاق هو من يعيش في عالم الفكر فحسب، بل الذي يهارسه بالعمل، ويكون لرغبته وانفعالاته عليه سلطان (مسكويه، ٢٠١١م، ص٢١٤).

وفي الثقافة اليهودية نجد أن التوراة هي الكتاب المنزل من عند الله تعالى على سيدنا موسى عليه السلام وهو المصدر الثقافي لمنظومة القيم والأخلاق. فقد جاء في كتاب المدخل إلى الكتاب المقدس أن الأخلاق عند اليهود مصدرها إلهي، وهي قواعد وقوانين تنظم سلوك الإنسان، وهذه القوانين والقواعد لا يشرعها إلا الله تعالى. وهم يرون أن الخير الأخلاقي، ورضا الله تعالى لا ينفصلان. وفي الثقافة اليهودية يعتبر العهد الموسوي النموذج الأخلاقي والديني المركزي، وتعتبر الوصايا العشر قوانين أعطاها الله لشعب إسرائيل بعد الخروج من مصر، وهي خلاصة القوانين الأساسية للتصرف

الإنساني (الغفالي، ١٩٩٤، ص ٣١). وتعتبر هذه الوصايا ملخصًا لعدد كبير من الوصايا موجودة في الشريعة اليهودية أو العهد القديم، وبنود ومواصفات هذه الوصايا العشر كها جاءت في التوراة في سفر الخروج [إصحاح ٢٠:١-١٧] اشتملت على الآتى:

- \_أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.
- لا تصنع لك تمثالًا منحوتًا، ولا صورة ما مما في الساء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن، ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي وأصنع إحسانًا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياي.
  - ـ لا تنطق باسم الرب إلهك باطلًا، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلًا.
- اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملًا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي دخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع الرب السهاء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه.
  - \_ أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الربُّ إلهُك.
    - لا تقتل.
    - لا تزن.
    - \_ لا تسرق.
    - ـ لا تشهد على قريبك شهادة الزور.
- ـ لا تشــته بيت قريبك، لا تشــته امرأة قريبك، و لا عبده، و لا أمته، و لا ثوره، و لا حماره و لا شيء مما لقريبك.

بعد عرض ومراجعة عدد من مواصفات العناصر الحقيقية للثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية، المستمدة من الثقافات اليهودية والمسيحية واليونانية، وخاصة مواصفات منظومات القيم والأخلاق فيها، حيث هناك اختلاف بين مكونات الثقافتين في مجال اللغة وفي مجال الشرائع واتفاق وتشابه بينها في مجال مواصفات أنساق القيم والأخلاق. وهذا

الاتفاق والتشابه في مواصفات موازين منظومتي القيم والأخلاق سوف يتضح أكثر في المحور الرابع عند مقارنة آراء وأفكار الغزالي المكتوبة باللغة العربية المعبرة عن الثقافة العربية الإسلامية، وآراء وأفكار بارسونز المكتوبة باللغة الإنجليزية المعبرة عن الثقافة الغربية.

## المحور الثاني: منظومة القيم والأخلاق عند الغزالي

يعرف الغزالي النفس البشرية بأنها خَلق و خُلق، فالإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ويراد به الصورة الظاهرة. ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة، ويراد به الصورة الباطنة. فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرًا من الجسد المدرك بالبصر، كها جاء في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق في مؤلفه إحياء علوم الدين (ب. ت) وكتاب ميزان العمل (١٩٦٤) وهي مرجعنا الرئيس في عرض أفكاره ورؤاه حول منظومة القيم والأخلاق.

وحدد صفات هذا الإنسان المركب وخصائصه في أول وجوده وابتدائه، بأنه جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش وصورة ومائل إلى كل مايها له إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له . وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له . ويعرف الخُلق أو منظومة القيم والأخلاق في المستوى الشخصي بأنها عبارة عن هيئة في النفس البشرية راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة من غير روية، وهذه الهيئة أركان أو أربع قوى، وبواسطة هذه القوى تستعد النفس البشرية وتميل إلى أحد الجانبين، ويتيسر عليها أحد الأمرين، إما فعل الحسن وإما فعل القبيح . ولقد ميز الغرالي بين أربعة عناصر في محيط الفعل البشري لتوضيح حقيقة هذه الهيئة وموقعها في النفس البشرية . وهذه العناصر أربعة هي: (فعل الجميل والقبيح، القدرة عليها، المعرفة مها، هئة النفس).

وهـذه الهيئة هي صورة النفس الباطنة وحددها بأربعة أركان أو أربع قوى وهي: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل. فهيئة النفس وصورتها الباطنة تتحدد بواسطة مدى القوى الأربع فيها، وهذه القوى النفسية الأربع في البداية تخلق ناقصة، وقابلة للنمو والكهال، فنمو وتطور هيئة النفس الباطنة مثله مثل نمو الجسد الظاهر، فهو يقول في ذلك، الجسد في الابتداء لا يخلق كاملًا ولكن يقوى وينمو بالنشوء والتغذية والتربية، فكذلك هيئة النفس الباطنة في الابتداء تخلق ناقصة قابلة للكمال، وكمالها يتم بواسطة التغذية بالعلم والمعرفة، والتربية وتهذيب الأخلاق بالاعتياد والمارسة.

ومن هذه القوى التي لهيئة النفس جاء تصنيفه لمنظومة القيم والأخلاق التي يسميها بأمهات الأخلاق وأصولها، التي قسمها إلى أربعة أنساق ثنائية كالتالي:

- \_نسق الحكمة\_الجهل.
- \_نسق الشجاعة\_الجبن والتهور.
  - \_نسق العفة\_الشره.
  - \_نسق العدل\_الجور.

فالحكمة هي حالة للنفس أو ميزان بها تدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية. ودرجات ميزان الحكمة ثلاثة، اعتدال، وإفراط، وتفريط. فمن اعتدال قوة العقل يحصل (حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقابة الرأي، وإصابة الظن، والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس)، ومن إفراط قوة العقل تصدر (الجربزة، والمكر، والخداع، والدهاء)، ومن تفريط قوة العقل يصدر (البله، والغمارة، والحمق، والجنون).

والشجاعة هي حالة للنفس أو ميزان تكون فيه قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها في الأفعال الاختيارية، أما درجات ميزان الشجاعة فهي ثلاثة: اعتدال، وإفراط، وتفريط. فمن اعتدال قوة الغضب في النفس البشرية يصدر (الكرم، والنجدة، والشهامة، وكسر النفس، والاحتهال، والحلم، والثبات، وكظم الغيظ، والوقار، والتودد، وأمثالها وهي أخلاق محمودة)، ومن إفراط قوة الغضب وهو التهور الذي يصدر عنه (الصلف، والبذخ، والاستشاطة، والتكبر، والعجب)، ومن تفريط قوة الغضب وهو الجبن الذي يصدر عنه (اللهانة، الذلة، والجزع، والخساسة، وصغر النفس، والانقباض عند تناول الحق الواجب).

والعفة هي حالة للنفس أو ميزان تكون فيه قوة الشهوة مؤدبة بتأديب العقل والشرع في إقدامها وإحجامها في الأفعال الاختيارية، أما در جات ميزان العفة فهي ثلاثة اعتدال، وإفراط، وتفريط. فمن اعتدال قوة الشهوة في النفس البشرية يصدر (السخاء، الحياء، والصبر، والمسامحة، والقناعة، والورع، واللطافة، والمساعدة والظرف، وقلة الطمع)، ومن ميل قوة الشهوة إلى الإفراط والتفريط يصدر (الحرص، والسشره، والوقاحة،

والخبث، والتبذير، والتقتير، والرياء، والهتكة، والمجانة، والعبث، والملق، والحسد، والتذلل للأغنياء).

والعدل هو حالة للنفس بها تسوس قوة الغضب وقوة الشهوة، وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال والانقباض حسب مقتضاهما في الأفعال الاختيارية. أما درجات ميزان العدل فها من درجتان العدل، والجور أو الظلم. ويصنف الغزالي منظومة القيم والأخلاق إلى فضائل ورذائل. فالفضائل هي اعتدال قوى النفس الأربعة، والرذائل هي الميل والانحراف عن الاعتدال نحو الإفراط أو التفريط، ويمثل الجدول رقم (١) تصنيف أنواع منظومة القيم والأخلاق وفروعها من الفضائل والرذائل.

ولمنظومة القيم والأخلاق عند الغزالي وظائف أو أفعال وظيفية تقوم ها، فهو يقول في ذلك اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به، وإنها مرضه أن يتعـــذر عليه فعله الذي خلق له. فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش، ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار، ومرض النفس أن يتعذر عليها فعلها الخاص بها الذي خلقت لأجله، وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره، وعنده كل نست فرعى من منظومة القيم والأخلاق السابقة له وظيفته التي يقوم بها لخدمة النفس البشرية. فوظيفة نسق الحكمة هي إدراك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال. ووظيفة نسق الشجاعة الانقباض والانبساط وفقًا لما تقتضيه قوة العلم أو الحكمة التي تتضمن إشارات العقل والشرع. ووظيفة نسق العفة الإقدام والإحجام وفقًا لما تقتضيه موازين العقل والشرع. وعدم القيام بالو ظائف السابقة باعتدال، والميل إلى قطب الإفراط أوالتفريط يؤدي إلى خلل وظيفي في النفس البشرية يتطلب علاجًا. ويقول الغزالي في ذلك الاعتدال في الأخلاق هو صحة للنفس والميل عن الاعتدال هو سقم ومرض فيها. كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له، والميل عن الاعتدال هو مرض فيه. وعلاج النفس يتم بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها، وجلب الفضائل والأخلاق الحميدة إليها. ولقد وضع الغزالي وصفات علاجية للأنفس البشرية المعتلة التي تميل عن الاعتدال، فوصف علاج مرض الجهل بالتعلم، وعلاج مرض الشره بالكف عن المستهى تكلفًا، وعلاج مرض البخل بالتسخى، وعلاج مرض التكبر بالتواضع.

### منظومة القيم والأخلاق بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. محمد بن حمود الجهني

## الجدول رقم (١) تصنيف منظومة القيم والأخلاق وفروعها عند الغزالي

<u>"</u>	<u> </u>
الرذائل	الفضائل
نسق الجهل	نسق الحكمة
_الجربزة *الغمارة	_حسن التدبير
_المكر *الحمق	_ جودة الذهن
_الخداع *الجنون	ـ ثقابة الرأي
_الدهاء * البله	_ إصابة الظن
	_ التفطن
نسق الجبن والتهور	نسق الشجاعة
_المهانة _الصلف	_الكرم _الثبات
_الذلة _البذخ	_النجدة _ كظم الغيظ
_الجزع _الاستشاطة	_الشهامة _الوقار
_الخساسة _التكبر	_كسر النفس _التودد
_صغر النفس _العجب	_الاحتمال
الانقباض عن تناول الحق الواجب	_الحلم
نسق الشره	نسق العفة
_الحرص _الحسد	_السخاء _اللطافة
_الشره _الرياء	_الحياء _المساعدة
_الهتكة	_الصبر _الظرف
_الوقاحة _المجانة	_المسامحة _قلة الطمع
_الخبث _العبث	الورع
_التبذير _الملق	_
_التقتير _التذلل للأغنياء	
نسق الجور	نسق العدل
_الظلم	_العدل مع النفس
_الغبن	_العدل مع الآخرين
_التغابن	_العدل بين أجزاء المدينة

### المحور الثالث: منظومة القيم والأخلاق عند بارسونز

يعرف بارسونز مفردة القيمة بأنها العنصر من النسق الثقافي الرمزي المشترك، الذي يخدم كمعيار أو مقياس للاختيار بين البدائل الممكنة في مواقف التفاعل الاجتهاعي، ويكون له قيمة جوهرية مفتوحة بالموقف. ومنظومة القيم والأخلاق الثقافية عنده هي أحكام معيارية مرجعية تحدد أفعال الأفراد، وبهذا المعنى يعتبر المجتمع نسعًا أخلاقيًا، أي أنه مرتكز على منظومة قيمية ومعايير ذات جزاء أخلاقي. كها جاء في كتابه نحو نظرية عامه في الفعل الاجتهاعي (١٩٥١)، وهما مرجعنا في عرض أفكاره ورؤاه حول منظومة القيم والأخلاق في الثقافة الغربية.

وفي معرض توضيحه لمنظومة القيم والأخلاق ووجودها في الشخصية، أكد أن الشخصية الإنسانية تتكون من نسقين، نسق بيولوجي، ونسق للشخصية، والذي يربط بين هذين النسقين مفهوم بناء استعدادات \_الحاجة، وهو مفهوم محوري عند بارسونز في فهم الشخصية، فمفردة الحاجة تشير إلى إشباع الحاجات البيولوجية، ومفردة الاستعداد تشير إلى الميل للفعل والتفاعل بطريقة معينة. فالطفل الوليد له ثلاث خصائص أو مواصفات منتشرة في جميع الأطفال وهي: مرونته أو الطبيعة اللدائنية، التي هي ببساطة اسم لقدرته على تعلم أنهاط بدائل التوجهات القيمية. وحساسيته، التي تعني قدرته على صياغة وتشكيل ارتباطات. وتبعيته أو عدم استقلاليته، فالوليد أو الطفل ككائن عضوي يكون غير قادر على مساعدة نفسه ويعتمد على الآخرين في الإشباعات الأوليه للتغذية والدفء والعناصر الأخرى للحاية.

و بناء استعدادات الحاجة لنسق الشخصية ينمو وفقًا للمحيط الترابطي في وحدات الأبنية القرابية التي تغرس وتغذي نسق الشخصية بالتوجهات القيمية وعناصر الإدراك والتمييز. وعن هذا البناء من استعدادات الحاجة للشخصية تصدر الأفعال الاجتهاعية التي توصف بالأفعال العقلانية، والتعبيرية، والتقييمية، والأخلاقية. فالشخصية البشرية ليست مجرد شخصية تحكمها الغرائز والدوافع، وإنها ترتبط بعالم من القيم والرموز والمعايير التي تحكمها وتوجهها أيضًا.

فالفعل الاجتماعي أو السلوك البشري عند بارسونز يتكون من أربعة عناصر بنائية،

ومن علاقات وظيفية تربط بين هذه العناصر وهي: (هدف حقيقي، وسائل حقيقية، ظروف حقيقية، معايير حقيقية).

فالهدف أو الغاية يتضمن تنسيقًا زمنيًّا وله مرجع مستقبلي ويكون في عقل الفاعل. والوسائل هي خصائص الأشياء التي من خلالها يكون الفاعل وبواسطة مميزات معرفته ومعلوماته قادر على الفعل حسب طلبه. والظروف هي جزء من العناصر المجردة للموقف، وهي خارجية ومستقلة عن العناصر الأخرى وخارج تحكم الفاعل. والمعايير هي التي تحدد وتتحكم في اختيار الوسائل المكنة المشروعة وغير المشروعة لتحقيق الهدف أو الغاية، وهذا العنصر يكون في عقل الفاعل.

وقد وضع بارسونز تصنيفه العام لمنظومة القيم والأخلاق في الثقافة الغربية وفقًا لأربعة أنساق من الموازين، وهي موجودة في مستوى النسق الشخصي، والنسق الاجتماعي، والنسق الثقافي، ولذلك هي تمتاز بالعمومية. وهي كالآتي:

١ \_ نسق العمو مية \_ الخصوصية.

٢ \_ نسق الحياد الوجداني \_ الوجدانية.

٣\_نسق الأداء \_ النوعية.

٤ \_ نسق التخصيص \_ الانتشارية.

فالعمومية في ميزان نسق العمومية \_الخصوصية في المستوى الثقافي، تشير إلى نمط ثقافي معياري مشترك يصف ويحدد لأعضاء المجتمع بأن تكون استجاباتهم وأفعالهم وفقًا لمقاييس العمومية التي تشمل مقاييس (الموضوعية، والعقلانية، والمعرفة، والنظرة غير الشخصية، والواقعية، والتقييمية)، والخصوصية تشير إلى نمط ثقافي معياري مشترك، يصف ويحدد لأعضاء المجتمع، بأن تكون استجاباتهم وأفعالهم وفقًا لمقاييس الخصوصية التي تشمل (غير موضوعية، وغير عقلانية، العاطفة، بطريقة شخصية، وغير واقعية، التعصب، التحيز، محدود).

والحياد الوجداني في ميزان نسق الحياد الوجداني - الوجدانية في المستوى الثقافي يشير إلى نمط ثقافي معياري مشترك يصف ويحدد لأعضاء المجتمع بأن تكون استجاباتهم

وأفعاله موفقًا لمقاييس الحياد الوجداني التي تشمل (الانضباط، التحقق، التحري، علاقات ثابتة وراسخة، تأجيل الإشباع، وجهة نظر بعيدة المدى)، والوجدانية تشير إلى نمط ثقافي معياري مشترك يصف ويحدد لأعضاء المجتمع بأن تكون استجاباتهم وأفعالهم وفقًا لمقاييس الوجدانية التي تشمل (الانفعال، التهور، سرعة تغير المزاج، فلسفة جديدة، الحب، الانحراف العاطفي).

والأداء في ميزات نسق الأداء - النوعية في المستوى الثقافي، يشير إلى نمط ثقافي معياري مشترك، يصف ويحدد لأعضاء المجتمع بأن تكون استجاباتهم وأفعالهم نحو الأشخاص وفقًا لمقاييس الأداء التي تشمل (أداء الأفراد، وإنجازاتهم، والقدرة على تقبل أشياء جديدة). والنوعية يشير إلى نمط ثقافي معياري مشترك، يصف ويحدد لأعضاء المجتمع بأن تكون استجاباتهم وأفعالهم نحو الأشخاص وفقًا لمقاييس النوعية التي تشمل (مكاناتهم القرابية، ممتلكاتهم، هوية الجهاعة القوية، التقاليد، تفكير فئوي، الشعور).

والتخصيص في ميزان نسق التخصيص - الانتشارية في المستوى الثقافي، يشير إلى نمط ثقافي معياري مشترك يصف و يحدد لأعضاء المجتمع بأن تكون استجاباتهم وأفعالهم نحو الأشخاص وفقًا لمقاييس التخصيص التي تشمل (علاقات تجارية، علاقات غير شخصية، علاقات آلية، غير إنسانية، باستقلالية، وبير وقراطية). والانتشارية تشير إلى نمط ثقافي معياري مشترك، يصف و يحدد لأعضاء المجتمع بأن تكون استجاباتهم وأفعالهم نحو الأشخاص وفقًا لمقاييس الانتشارية التي تشمل (علاقات تمتاز بالدفء، علاقات المحداقة، علاقات إنسانية، العلاقات الشخصية، علاقات التبعية، علاقات شاملة وكلية، علاقات الاهتهام والمراعاة).

ويمثل الجدول رقم (٢) تصنيف منظومة القيم والأخلاق وفروعها عند بارسونز، السذي يمتاز بأنه ثنائي أو قطبي التصنيف. وعنده منظومة القيم والأخلاق الثقافية الأمريكية تشمل أنهاط قيم (العمومية، الأداء، الحياد الوجداني، التخصيص).

ولمنظومة القيم عند بارسونز وظائف أو أفعال وظيفية تقوم بها. فهي تدفع النفس البشرية أو الشخصية وتجبرها على أن تختار وتقيم البدائل الممكنة في المواقف الاجتماعية سواء إلى ناحية الاستجابة والفعل أو ناحية ترك الفعل.

### منظومة القيم والأخلاق بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. محمد بن حمود الجهني

# الجدول رقم (٢) تصنيف منظومة القيم والأخلاق وفروعها عند بارسونز

,	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
الخصوصية	العمومية
_غير موضوعية	_الموضوعية
_غير عقلانية	_ العقلانية
_ بواسطة العاطفة	_المعرفة
_نظرة ذاتية	_ الواقعية
_ متعصب	_ التقييمية
_متحيز	
_محدود	
الوجدانية	الحياد الوجداني
_الانفعال	_الانضباط
_التهور	_ تأجيل الإشباع
_سرعة تغير المزاج	_ التحقق
_ فلسفة جديدة	_التحري
_الحب	ـ وجهة نظر بعيدة المدي
_الانحراف العاطفي	_علاقات ثابتة وراسخة
النوعية	الأداء
_المكانات القرابية	_أداء الأفراد
_ الممتلكات	_ إنجازاتهم
_ هوية الجماعة القوية.	_ القدرة على تقبل أشياء جديدة
_ تفكير فئوي	
_الشعور	
الانتشارية	التخصيص
_علاقات تمتاز بالدفء	_علاقات تجارية
_ علاقات الصداقة	_علاقات غير شخصية
_ علاقات إنسانية	_علاقات آلية
_ علاقات شخصية	_علاقات غير إنسانية
_علاقات التبعية	_ باستقلالية
_علاقات شاملة وكلية	ـ بيروقراطية
_علاقات الاهتهام والمراعاة	

فعلى مستوى النسق الشخصي أو النفس البشرية افترض بارسونز مجموعة محددة من الموازين أو المقاييس المعيارية الوظيفية المستمدة من تصنيف منظومة القيم والأخلاق الذي يمثله شكل رقم (٢)، تكون وراء توازن نسق الشخصية واستقرارها. فالفاعل أو الشخصية في مواقف التفاعل الاجتهاعي إذا قام بالالتزام والامتثال بهذه المقاييس الوظيفية الذي تعلمها واكتسبها من المحيط الترابطي في مجال تحقيق حاجاته الوظيفية الضرورية، فإنه سوف يعيش حالة من الاستقرار والتوازن، وهو الأمر الطبيعي ويوصف بالحالة الصحية، وأما إذا قام الفاعل أو الشخصية بتحقيق حاجاته الوظيفية الضرورية بواسطة الميل والانحراف عن هذه المقاييس، فإنه يعيش حالة من عدم الاستقرار وعدم التوازن، وهو أمر غير طبيعي وغير صحي ويوصف بالحالة المعتلة التي تتطلب علاجًا.

وبعد عرض المادة العلمية الوصفية الخام لهذه الدراسة التي تضمنت أنواع منظومات القيم والأخلاق ومواصفاتها ووظائفها عند الغزالي وبارسونز، أنتقل الآن إلى المحور الرابع الذي يختلف عن المحورين السابقين فهو من طبيعة تحليلية، أقارن فيه بين المادة الوصفيه لمنظومتي القيم والأخلاق عند الغزالي وبارسونز.

### المحور الرابع: أوجه التشابه والاتفاق والاختلاف بين الغزالي و بارسونز

في هذا المحور أقارن بين آراء ومفاهيم وتصنيفات الغزالي وبارسونز حول طبيعة منظومة القيم والأخلاق، التي جاءت في المحورين السابقين، وذلك وفقًا لمقاييس مخطط متغيرات النمط، الذي هو عبارة عن أداة تشفيلية من أدوات منهج التحليلات المقارنة تساعدنا في معرفة أوجه التشابه والاتفاق والاختلاف بين أفكار الغزالي وبارسونز حول منظومة القيم. ولكن قبل البدء في ذلك أعرض لأوجه الاتفاق بينها حول حقائق ذات علاقة مباشرة بمفهوم منظومة القيم والأخلاق، وهي حقائق الإنسان ومكوناته وصفاته، وحقائق الفعل الاجتاعي ومكوناته.

فالإنسان عند الغزالي هو مركب من جزأين: من خَلق، وخُلق أو نفس ظاهرة، ونفس باطنة وعند بارسونز الذي يستخدم مفردتي نسق الشخصية ليعبر عن الإنسان، هو أيضًا مركب من نسقين: نسق بيولوجي، ونسق الشخصية، ويربط بين هذين النسقين مفهوم بناء استعدادات الحاجة.

ومواصفات الإنسان عند الغزالي في بداية وجوده عندما يكون صبيًّا صغيرًا يوصف بأنه جوهرة نفيسة، ساذجة، قابلة لكل نقش وصورة، ومائلة إلى كل ما يهال به إليه من قبل الوالدين والمعلمين. وعند بارسونز الطفل الوليد يتصف بمرونته اللدائينة وقدرته على التعلم من قبل المحيط القرابي، وحساسيته وتبعيته لهذا المحيط. وعند الغزالي النفس الباطنة أو الجزء غير المرئي من الإنسان المركب في الابتداء تخلق ناقصة قابلة للنمو والكهال، بواسطة التغذية بالعلم والتربية وتهذيب الأخلاق. وعند بارسونز بناء استعدادات الحاجة لنسق الشحصية ينمو وفقًا للمحيط الترابطي في وحدات الأبنية القرابية، التي تغرس وتغذى هذا البناء بعناصر الإدراك والتمييز، وبدائل أنهاط التوجهات القيمية.

وحقيقة هيئة النفس الباطنة للإنسان عند الغزالي بعد نموها واكتهالها تصبح راسخة تقوم على أربعة أركان أو أربع قوى هي: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل. وحقيقة بناء استعدادات \_ الحاجة للشخصية الإنسانية بعد نموه واكتهاله عند بارسونز يقوم على ثلاث قوى هي: قوة الدوافع، وقوة عناصر الإدراك والتمييز، وقوة أنهاط التوجهات القيمية.

أما في مجال حقيقة الفعل الاجتهاعي، فهو عند الغزالي يعتبر فعلًا اختياريًّا طوعيًّا يتكون من أربعة عناصر (الفعل الجميل أو القبيح، المعرفة بها، القدرة عليها، هيئة للنفسس) وعنده العنصر الرابع أو هيئة النفس، هي التي تستعد بها النفس لأن يصدر عنها الفعل الجميل أو الفعل القبيح. وعند بارسونز الفعل الاجتهاعي هو فعل طوعي اختياري يتكون من أربعة عناصر حقيقية هي (هدف، وسائل، ظروف، معايير) وعنده العنصر الرابع أو المعايير هي التي تحدد وتتحكم في اختيار الوسائل المكنة المشروعة وغير المشروعة لتحقيق الهدف أو الغاية، وهذا العنصر يكون في عقل الفاعل، وعنه تصدر الأفعال الاجتهاعية العقلانية والأخلاقية والتعبيرية والتقييمية.

ومما سبق يظهر أن هناك اتفاقًا وتشابهًا واضحًا بين الغزالي و بارسونز في المضامين الدالة على مفردات المفاهيم التي استخدموها لوصف الإنسان المركب والفعل الاجتهاعي، على الرغم من اختلاف هذه المفردات. ومن ذلك اتفاقهم حول مفهوم الإنسان المركب فهو عند الغزالي نفس ظاهرة، ونفس باطنة، ويقابلها عند بارسونز نسق بيولوجي،

ونسق للشخصية. واتفاقهم على صفات الإنسان في ابتدائه فهو عند الغزالي جوهرة نفيسة ساذجة، قابلة لكل نقش وصورة. ويقابلها عند بارسونز صفات مرونته اللدائينة وقدرته على التعلم، وحساسيته وتبعيته. واتفاقهم على أن نسق الشخصية أو النفس الباطنة تخلق ناقصة وتنمو بواسطة غرس وتغذية الإنسان بالعلم والأخلاق من قبل المحيط الترابطي، واتفاقهم على قوى الإنسان وقدراته، واتفاقهم على أن الفعل الاجتماعي طوعى أو اختياري.

وبعد عرض أوجه الاتفاق بين مفاهيم الغزالي وبارسونز عن الإنسان، والفعل الاجتماعي، أعرض فيما يلي أوجه الاتفاق والبون في تصنيفاتهم عن منظومة القيم والأخلاق وأنواعها.

صنف الغزالي منظومة القيم والأخلاق في الثقافة العربية الإسلامية وسماها بأصول الأخلاق وسماها أيضًا بالفضائل والرذائل تصنيفًا ثنائيًّا أو قطبيًّا من أربعة ثنائيات الأولى منها فضائل والثانية رذائل وهي كالآتي:

١ \_ الحكمة \_ الجهل.

\_ العفة \_ الشهوة.

\_الشجاعة\_الجبن والتهور.

\_العدل\_الجور.

وكل أصل من هذه الأصول يتفرع إلى أنواع أو أنساق فرعية كما يشير الجدول رقم (١).

وصنف بارسونز منظومة القيم والأخلاق في الثقافة الغربية، تصنيفًا ثنائيًّا الأولى منها فضائل والثانية رذائل وسماها بمتغيرات النمط وهي كالآتي:

\_ العمومية \_ الخصوصية.

\_ الحياد الوجداني \_ الوجدانية.

\_ الأداء \_ النوعية.

\_التخصيص\_الانتشارية.

وكل متغير من المتغيرات السابقة يتفرع إلى أنواع أو أنساق فرعية كما يشير الجدول رقم (٢).

وبمقارنة أنواع النسق القيمي الأول لتصنيف الغزالي متغير الحكمة ـ الجهل مع النسق القيمي الأول لتصنيف بارسونز متغير العمومية ـ الخصوصية وفقًا لمقياس العمومية المستقل. نجد أن هناك اتفاقًا واضحًا بينهما في أنواع أو موازين نسق الحكمة وموازين نسق العمومية؛ فهي عند الغزالي تشمل موازين (حسن التدبير؛ وجودة الذهن، وثقابة الرأي، وإصابة الظن، والتفطن) ويقابلها عند بارسونز موازين (الموضوعية، العقلانية، المعرفة، الواقعية، التقييمية). ونجد أن هناك اتفاقًا واضحًا بينهما في أنواع نسق الجهل وأنواع نسق الجهل الخصوصية، فهي عند الغزالي تشمل (الجربزة، المكر، الخداع، الدهاء، الغمارة، الحمق، الجنون، البله) ويقابلها عند بارسونز موازين (غير موضوعية، غير عقلانية، العاطفة، نظرة ذاتية، التعصب، التحيز، محدودة) وهذا الاتفاق والتشابه الواضح على الموازين العقلية لنسق العمومية عند بارسونز، هو اتفاق وتشابه طبيعي بين الثقافات، وذلك لأن موازين قيم المنطق، والمعرفة العلمية البرهانية، والمشاهدات الصحيحة هي موازين مشتركة وعامة ومنتشرة في جميع الأمم والثقافات. فعند كل الثقافات الحية أنساق الموازين العقلية تعتبر فضائل، وأنساق الموازين العقلية تعتبر فضائل، وأنساق الموازين عقبر العقلية تعتبر وذائل.

وبمقارنة أنواع النسق القيمي الثاني لتصنيف الغزالي ثنائية الشجاعة - الجبن والتهور مع النسق القيمي الرابع لتصنيف بارسونز ثنائية التخصيص - الانتشارية، وفقًا لمقياس التخصيص المستقل، نجد أن هناك اختلافًا واضحًا بينها في أنواع موازين نسق الشجاعة، وموازين نسق التخصيص. فهي عند الغزالي تشمل موازين (الكرم، والنجدة، والشهامة، وكسر النفس، والثبات، وكظم الغيظ، والوقار، والتودد) ويقابلها عند بارسونز موازين (علاقات تجارية، علاقات غير شخصية، علاقات آلية، علاقات غير إنسانية، الاستقلالية، البروقراطية). ونجد أن هناك اختلافًا واضحًا بينها في موازين نسق الجبن والتهور، وموازين نسق الانتشارية، فهي عند الغزالي تشمل (المهانة، الذلة، الجزع، الخساسة، الصلف، البذخ، الاستشاطة، التكبر) ويقابلها عند بارسونز موازين

(علاقات تمتاز بالدفء، علاقات الصداقة، علاقات إنسانية، علاقات شخصية، علاقات التبعية، علاقات شاملة وكلية، علاقات الاهتهام والمراعاة). وتظهر المقارنة أيضًا أن هناك تشابهًا بين موازين نسق الشجاعة التي هي من أنساق الفضائل عند الغزالي وفقًا لتصنيفه، وهذا وموازين نسق الانتشارية التي هي من أنساق الرذائل عند بارسونز وفقًا لتصنيفه. وهذا التشابه بين نسق الشجاعة ونسق الانتشارية يؤكد أن الاختلاف في هذه الثنائية هو اختلاف جوهري. وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف الأنساق الخلقية في الثقافة العربية الإسلامية عن مثيلاتها في الثقافة الغربية. فها هو فضيلة عند الغزالي يعتبر رذيلة عند بارسونز أو ماهو فضيلة في الثقافة العربية يعتبر رذيلة في الثقافة الغربية.

وبمقارنة أنواع النسق القيمي الثالث في تصنيف الغزالي ثنائية العفة الشره مع النسق القيمي الثانى لتصنيف بارسونز ثنائية الحياد الوجداني الوجدانية وفقًا لمقياس الحياد الوجداني المستقل. نجد أن هناك اتفاقًا وتشابهًا واضحًا بين موازين نسق العفة وموازين نسق الحياد الوجداني. فهي عند الغزالي تشمل موازين (قلة الطمع، الصبر، الورع، الحياء، المسامحة، اللطافة، المساعدة، الظرف) ويقابلها عند بارسونز موازين الانضباط، تأجيل الإشباع، التحقق، التحري، وجهة نظر بعيدة المدى، علاقات ثابتة وراسخة). ونجد أن هناك اتفاقًا بين موازين نسق الشره، وموازين نسق الوجدانية فهي عند الغزالي تشمل (الشره، الحرص، الوقاحة، والهتكة، الخبث، التبذير، التقتير، الحد، سرعة المزاج، فلسفة جديدة، الانحراف العاطفي). وهذا التشابه والاتفاق بينها على موازين ثنائية نسق الحياد الوجداني الوجدانية يشير موازين ثنائية نسق الحياد الوجداني الوجدانية وكذلك عند بارسونز موازين نسق الحياد الوجداني هي فضائل، وكذلك عند بارسونز موازين نسق الحياد الوجداني هي فضائل.

وبمقارنة أنواع النسق القيمي الرابع في تصنيف الغزالي ثنائية العدل - الجور مع النسق القيمي الثالث في تصنيف بارسونز ثنائية الأداء - النوعية، وفقًا لمقياس الأداء النستقل. نجد أن هناك اتفاقًا وتشابهًا وإن لم يكن واضحًا بين موازين نسق العدل، وموازين نسق الأداء فهي عند الغزالي تشمل موازين (العدل مع النفس، العدل مع

الآخرين) ويقابلها عند بارسونز موازين (أداء الأفراد، إنجازاتهم، وقدراتهم). ونجد أيضًا اتفاقًا بينها على موازين نسق الجور، وموازين نسق النوعية فهي عند الغزالي موازين (الظلم، الغبن، والتغابن) ويقابلها عند بارسونز موازين (القرابة والنسب، الملكية، الهوية) وهذه الثنائية من منظومة القيم ذات علاقة مباشرة بعلاقات المعاملة بين الناس، التي يجب أن تقوم وفقًا لموازين نسق العدل وليس وفقًا لموازين مكانة الأفراد، ونسبهم، وهويتهم. وهذا التشابه والاتفاق في هذه الثنائية يشير إلى اتفاق بين الثقافتين على موازين نسق المعدل، وموازين نسق الجور، وموازين نسق الجور، وموازين نسق الجور، وموازين منظومة القيم مثلها مثل الموازين العقلية، تكون مشتركة وعامة ومنتشرة في جميع الأمم والثقافات.

بعد تحديد أوجه الاتفاق والاختلاف بين ثنائيات منظومات القيم والأخلاق عند الغزالي وبارسونز باعتبارها عناصر بنائية تمثل جزءًا رئيسًا من مكونات بناء الإنسان وجزءًا رئيسًا، بل مركزيًّا من مكونات بناء المجتمع، وجزءًا رئيسًا من مكونات الثقافة، أنتقل إلى تحديد أوجه الاتفاق بين هذه الثنائيات وهي في وضعها الوظيفي أو التشغيلي.

فعند الغزالي وظيفة موازين نسق الحكمة أو فعل قوة العلم في هيئة النفس الباطنة هيى: إدراك الصواب من الخطأ في الأقوال، والجميل من القبيح في الأفعال، والحق من الباطل في الاعتقادات. ويقابلها عند بارسونز وظيفة موازين نسق العمومية أو فعل قوة الإدراك والتمييز في بناء الشخصية وهي: توجيه الإنسان و دفعه للاستجابة والفعل في المواقف الاجتهاعية و فقًا لموازين نسق العمومية. وهذا يشير إلى اتفاقهم على الدور الوظيفي الذي تقوم به هذه الموازين العقلية و على أن مخرجات هذه الموازين أفعال عقلانية.

ووظيفة موازين نسق الشجاعة أو فعل قوة الغضب في هيئة النفس الباطنة عند الغزالي هي: الانقباض والانبساط في الأفعال الاختيارية وفقًا لما تقتضيه قوة العلم أو الحكمة التي تتضمن إشارات العقل والشرع. ويقابلها عند بارسونز وظيفة موازين نسق التخصيص أو فعل قوة التوجهات القيمية في بناء الشخصية وهي: توجيه الإنسان ودفعه للاستجابة والفعل في المواقف الاجتماعية وفقًا لموازين نسق التخصيص، وهذا يشير إلى

اتفاقهم على الدور الوظيفي الذي تقوم به هذه الموازين الأخلاقية، وعلى أن مخرجات هذه الموازين الوظيفية تكون أفعالًا أخلاقية.

ووظيفة موازين نسق العفة أو فعل قوة الشهوة الغريزية في هيئة النفس الباطنة عند الغزالي هي: الإحجام والإقدام في الأفعال الاختيارية وفقًا لما تقتضيه قوة العلم، وما تقتضيه إشارات الشرع أو الموازين الشرعية. ويقابلها عند بارسونز وظيفة موازين نسق الحياد الوجداني أو قوة الدوافع البيولوجية في بناء الشخصية وهي: توجيه الإنسان ودفعه للاستجابة والفعل في المواقف الاجتماعية وفقًا لموازين نسق الحياد الوجداني. وهذا يشير إلى اتفاقهم على الدور الوظيفي الذي تقوم به هذه الموازين النفسية، وعلى أن مخرجات هذه الموازين تكون أفعالًا نفسية غريزية مؤدبة بتأديب هذه الموازين.

ووظيفة موازين نسق العدل أو فعل قوة العدل في هيئة النفس الباطنة عند الغزالي هي: سياسة قوة الغضب، وقوة الشهوة وضبطها في الاسترسال والانقباض في الأفعال الاختيارية حسب مقتضى موازين العقل وموازين الشرع. ويقابلها عند بارسونز موازين نسق الأداء أو فعل قوة التوجهات القيمية في بناء الشخصية وهي توجيه ودفع الإنسان للاستجابة والفعل في المواقف الاجتهاعية وفقًا لموازين نسق الأداء. وهذا يشير إلى اتفاقهها على الدور الوظيفي الذي تقوم به هذه الموازيين التقييمية، وعلى أن مخرجات هذه الموازين الوظيفية تكون أفعالًا تقييمية.

بقي أن أشير إلى الاتفاق بين الغزالي وبارسونز في مفهوم ثمرات أو نتائج مخرجات العمليات الوظيفية لموازين منظومة القيم والأخلاق السابقة في تفاعل الإنسان مع محيطه الاجتهاعي الثقافي، وهي ثمرات أو مخرجات محددة. لا تصدر إلا في صورتين أو نمطين لاغير إما أفعالاً عقلانية أو غير عقلانية، أخلاقية أو غير أخلاقية، مقبولة أو غير مقبولة، جميلة أو قبيحة وهكذا. فعند الغزالي مفهوم حالة الاعتدال التي هي القيام بالأفعال الاختيارية وفقًا لموازين نسق الحكمة، ونسق الشجاعة، ونسق العفة، ونسق العدل. وثمرتها صحة للنفس، والانحراف عن الاعتدال بعدم الالتزام والتقيد بالموازين السابقة ثمرته سقم بالنفس يتطلب علاجًا. ويقابل هذه الحالة عند بارسونز حالة التوازن؛ التي هي القيام بالأفعال الطوعية الاختيارية وفقًا لموازين نسق العمومية،

ونسق الحياد الوجداني؛ ونسق التخصيص، ونسق الأداء، وثمرتها توازن واستقرار الشخصية، والانحراف عن الموازين السابقة وعدم الالتزام بها يؤدي إلى عدم توازن بنسق الشخصية، وثمرته حالة غير طبيعية تتطلب علاجًا.

ومما سبق من نتائج التحليلات المقارنة بهذا المحور، نجد أن الغزالي وبارسونز يتفقان على تعريف الإنسان المركب. وصفاته وقدراته، وعلى تعريف الفعل الاجتهاعي وعناصره. ويتفقون في تصنيفاتهم للمنظومة القيمية والأخلاقية، فكلاهما صنفها وفقًا لثنائيات متضادة. ويتفقان في تعريفها على موازين ثلاثة ثنائيات من الانساق، ويختلفان في ثنائية واحدة فقط. ويتفقان في تعريف وظائف هذه الثنائيات من منظومة القيم والأخلاق. وأخيرًا يتفقان في وصف وشروط حالة الاعتدال أو حالة التوازن التي يعيشها الإنسان.

#### الخاتمة

وفي الختام أشير إلى أن هذه الدراسة بينت أن طبيعة منظومة القيم والأخلاق من موازين ومقاييس عقلية وخلقية في الأصل هي من طبيعة ثقافية. وشكلها المادي الوجودي الملموس يكون في الكتب الساوية والكتب العلمية على شكل معرفة علمية منظمة ووصايا وأوامر ونواه وتعاليم ومواعظ. وبينت أن هذه الموازين ليست غريزية، ولا تولد مع الإنسان، بل يكتسبها من البيئة الاجتهاعية الثقافية المحيطة به. وتصبح من الطبيعة الشخصية أو الفردية بعد غرسها وتغذيتها في النفس البشرية من قبل مؤسسات التنشئة والضبط الاجتهاعي، فنجدها متحققة كعناصر بنائية وموازين وظيفية تمثل جزءًا رئيسًا من بناء شخصية الإنسان المركب وهي التي تميزه من غيره من المخلوقات الأخرى.

وتصبح من طبيعة اجتهاعية فقط عندما يتم دمجها في الأدلة الرسمية لمواصفات واجبات ومسووليات المكانة والأدوار الوظيفية التي يقوم بها الأفراد في مؤسسات المجتمع الجزئية، فنجدها متحققة كعناصر بنائية وموازين وظيفية في بناء الأدوار والمكانة، وتمشل بذلك الجزء الرئيس في البناء الاجتهاعي للمجتمع. وبينت أن موازين منظومتي القيم العقلية والخلقية في الثقافتين ثابتة لا تتغير بتغير الزمن والأحوال. فالفضائل هي الفضائل، والرذائل هي الرذائل في كل زمان ومكان، وإنها المتغير هو ثمراتها أو مخرجاتها

الحقيقية من أفعال واستجابات الأفراد الشخصية والتنظيمية. وبينت أن الثقافتين تشتركان وتتفقان على (نسق الحكمة، والعدل، والأمانة، والوفاء بالعهد، والعفاف، وبر وإكرام الوالدين، والصدقة، والعفو والصفح). وبينت أن هناك اتفاقًا وتشابهًا كبيرًا بين منظور الغزالي معبرًا عن الثقافة العربية ومنظور بارسونز معبرًا عن الثقافة الغربية، في منظومة القيم والأخلاق ووظائفها ومخرجاتها. فهم يتفقان على ثلاثة ثنائيات من منظومة القيم والأخلاق وهي الحكمة يقابلها العمومية، والعفة يقابلها الحياد الوجداني، والعدل يقابله الأداء. ويختلفان في ثنائية واحدة وهي الشجاعة يقابلها التخصيص. وهذا الاختلاف مرده الاختلاف في النسق الأخلاقي بين الثقافتين وهذا يعني أنها يتفقان في ٥٧٪ من القيم ويختلفان في ٢٥٪ فقط.

### التوصيات

وفقًا لما سبق من نتائج علمية، وتأسيسًا عليها تقدم هذه الدراسة توصيات علمية لأصحاب القرار في مؤسسات الضبط الاجتهاعي في المجتمع العربي السعودي، التي تشمل المؤسسات الأمنية، والمؤسسات الدينية، والمؤسسات التربوية والتعليمية، ومؤسسات الإعلام، ومؤسسات العائلة والقرابة، التي تقوم بوظيفة حماية منظومة القيم والأخلاق العربية الإسلامية للمجتمع السعودي، والدفاع عنها ومحاربة أعدائها، سواء في مستواها الثقافي أو الاجتهاعي أو الشخصي. وهي كالآتي:

- ا \_ حماية نسق الحكمة وموازينه من (حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقابة الرأي، وإصابة الظن، والتفطن) ومحاربة نسق الجهل وموازينه من (المكر، والخداع، والحمق، والبله، والدهاء).
- ٢ حماية نسق العدل وموازينه من (العدل مع النفس، العدل مع الآخرين، العدل بين أجزاء المجتمع) ومحاربة نسق الجور والظلم وموازينه من (الظلم، الغبن، التغاين).
- ٣- حماية نسق الشجاعة وموازينه من (الكرم، النجدة، الشهامة، الاحتمال، الثبات، كظم الغيظ، الحلم، التودد، الوقار) ومحاربة نسق الجبن والتهور وموازينه من (المهانة، الذلة، صغر النفس، الجزع، الخساسة، التكبر، العجب، الصلف).

### منظومة القيم والأخلاق بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. محمد بن حمود الجهني

خاية نسق العفة وموازينه من (السخاء، الحياء، الصبر، قلة الطمع، المساعدة، المساعحة، الورع، اللطافة) ومحاربة نسق الشر وموازينه من (الحرص، الوقاحة، الخبث، الحسد، العبث، المجانة، الملق، التبذير، التقتير، الوقاحة، التذلل للأغنياء).

# قائمة المراجع

### القرآن الكريم

الأعسم، عبدالأمير، (١٩٩٨م). الفيلسوف الغزالي، القاهرة: دار قباء.

الإنجيل إنجيل مرقس وإنجيل متى (ب. ت). منشورات الكنيسة الفبطية الأرثوذكسية، الإسكندرية.

أنيس، محمد أحمد (١٩٩٤). التربية الخلقية، القاهرة: دار الأنجلو المصرية.

بادكلي، وليم (١٩٨٤). تفسير العهد الجديد نقلها إلى العربية إدوارد وديع عبد المسيح، القاهرة: دار الطباعة القومية.

التوراة سفر الخروج (ب. ت). منشورات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، الإسكندرية.

تيماشيف، نقولا (١٩٩٦م). ترجمة مجموعة من الباحثين، نظرية علم الاجتماع، القاهرة: دار المعارف.

جان، بول رفبر، (٢٠٠١م). فلسفة القيم، ترجمة: عادل العوا، بيروت ـ لبنان: عويدات للنشر والطباعة.

روشية، جي (١٩٨١). علم الاجتماع الأمريكي، ترجمة: محمد الجوهري، القاهرة: دار المعارف.

صحيح مسلم، (١٤٢٤هـ). تحقيق: صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر للطباعة. عفيفي، محمد عبدالله، (١٤٠٨هـ). النظرية الخلقية عند ابن تيمية، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث.

العوا، عادل (١٩٨٦). العمدة في فلسفة القيم، دمشق: طلاس للنشر.

الغزالي أبو حامد، (١٩٦٤). ميزان العمل، تحقيق: د سلمان دنيا، دار المعارف المصرية.

الغزالي. أبو حامد (ب. ت). إحياء علوم الدين، بيروت ـ لبنان: دار الندوة الجديدة.

الغفالي، بولس (١٩٩٤). المدخل إلى الكتاب المقدس، بيروت ـ لبنان المكتبة البولوسية.

- فيبر، ماكس (١٩٨٥م). ترجمة أبو بكر با قادر الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، جدة: مكتبة مصباح.
- كوفيلية، أرمان (١٩٨٠م). مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة: السيد بدوي وعباس الشربيني، القاهرة: دار المعارف.
- محتصر صحيح البخاري، تحقيق مصطفي البنا (١٤٢٥هـ). اليهامة للطبع والنشر دمشق. مسكوية، أحمد بن محمد. (٢٠١١م). دراسة وتحقيق عهاد الهلالي، تهذيب الأخلاق، بغداد ـ بروت.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم. (١٤١٨هــ١٩٩٨م). جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.
- California, Davis. Talcott Parsons, (1982). Chicago university Press, u.s.a.
- Parsons, and edward shills (1951). toward ageneral theory of action. Harvard university press.
- Parsons, Talcott. (1949). the structure of social action, the free press of Glencoe, New York. U.S.A.
- Parsons, Talcott. (1951). The Social system. The Free Press of Glencoe, New York U.S.A.
- Parsons, Talcott. (1963). Suggestion for Sociological Approach to the theory of Organization, Asq vol 8.
- Smelser, Neilj, (2008). A new introduction to the General theory of action (Parsons, Shills) transaction Publisher, New Brunwick, New Jersey. U.S.A.

